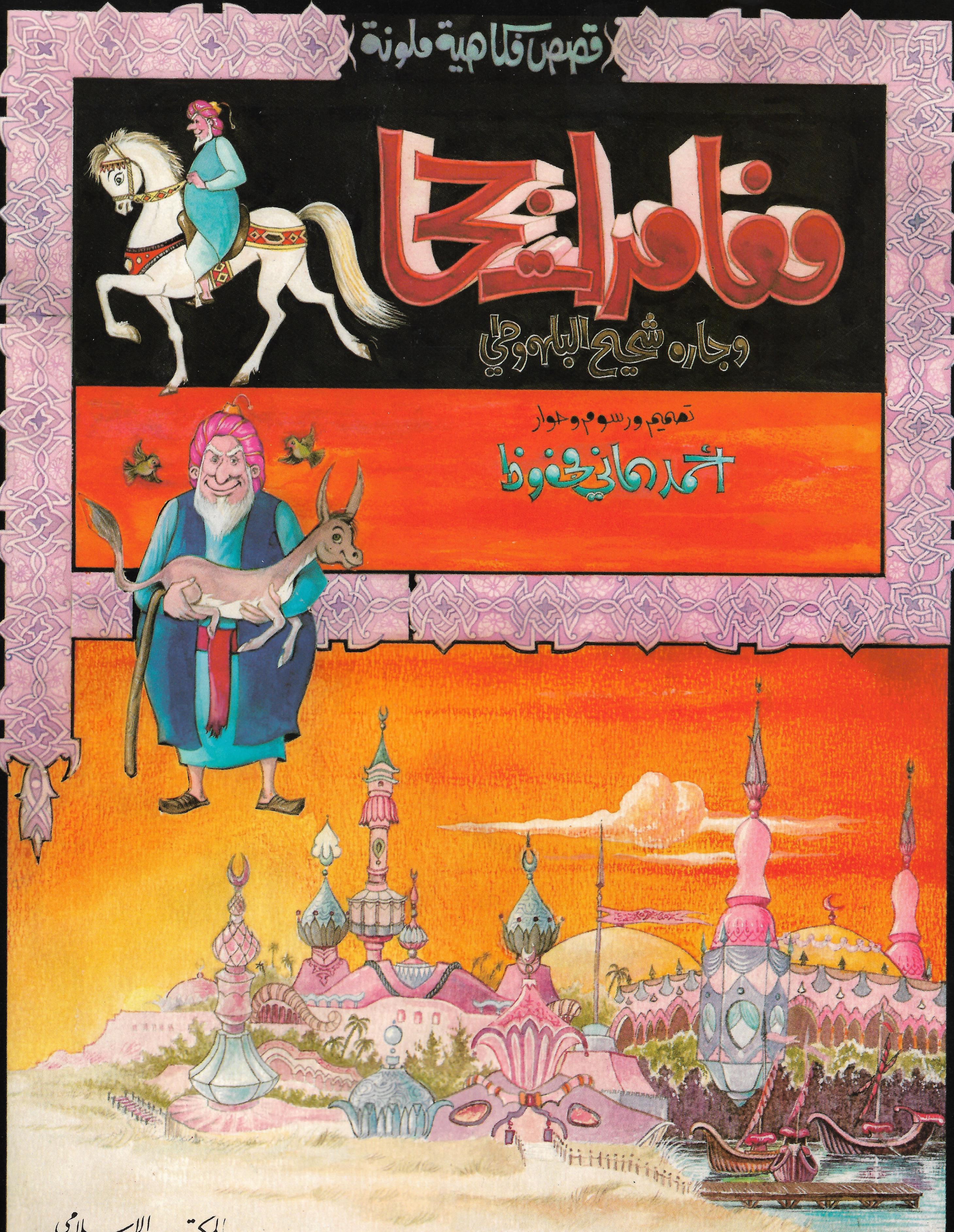

قصص فكاهية ملونة
مغامرات جحا
وجاره شيخ البلهوطي
تصميم ورسوم وحوار
أحمد هاني خفوظ
المكتب الاسلامي
أحمد هاني خفوظ

مغامرات جحا

وجاره شيخ البلهوطي

تصميم ورسوم وحوار
أحمد هاني محفوظ

المكتب الإسلامي

الإهداء

إلى عبيدة الذي أدخل الابتسامة

إلى قلبينا

أبو وأم عبيدة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا: إسلاميا

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ألمّ بجحا جوع شديد وهو في زيارة للمدينة فدخل دكان حلوى حيث تُعرضُ أصناف من الفطائر الشهية والحلوى اللذيذة، وأهوى عليها يأكل مما لذ وطاب بلا استئذان.. فما كان من صاحب الدكان إلا أن أهوى عليه بعصا كانت عنده، وجحا لا يبالي به.. فلما فرغ من الأكل التفت إلى صاحب الدكان مبتسماً وهو يمصّ أصابعه واحدة واحدة، قائلاً بصوت عال:

لله دركم في هذه المدينة ما أكرمكم.. انكم تجبرون ضيوفكم على الطعام بالعصا والضرب... ثم خرج من الدكان تشيعه دهشة البائع وابتسامات الزبائن..

* * *

قلما وُجدت أُمة متحضرة لها تاريخ عريق دون أن يمتلىء هذا التاريخ بنوابغ الفُكاهة وأساطين الدعابة إلى جانب الأدباء والعلماء والمفكرين...

والفكاهة طريق من طرق التعبير عن شخصية الأُمة الحضارية، تحمل في طياتها تجاربها ومشاعرها وخلاصة أفكارها، وتقدم الحكمة والمعرفة بأسلوب تمتزج فيه الدعابة بالجد والرصانة..

وقد كان للأُمة الاسلامية أوفر نصيب من الفكاهة والفن، فكانت شخصيات البخلاء، وأشعب، وجحا، وجاءت كتب طريفة ــ مثل «المستطرف» و«الاذكياء» و«نثر الدرر» و«الأغاني» و«البيان والتبيين» و«أخبار الحمق» وغيرها ــ بنوادر الأمة، وجميل قصصها.. ثم تُرجمت إلى لغات عالمية زبدة التراث الأدبي والفني والخيالي الروائي...

والفن ضمير الأُمة، وهو مؤشر صادق على طبيعة المجتمع ونوعية قيمه ومفاهيمه، فإن كان الابداع الفني سليم الذوق نقي السريرة، يسمو بالنفس إلى أعالي الطهر والصفاء، فإن هذا دليل على ارتفاع القيم وسلامة الحس، وصورة صادقة عن جو السلام العميق الذي يعيش فيه ذلك المجتمع...

أما إذا اضطرب الإبداع الفني وابتذل وفقد شخصيته المتميزة، فصار هجيناً يأخذ من هنا وهناك بلا ميزان ولا حساب ــ بحجة عالمية الفن ــ فيُدخل عناصر غريبة على شخصيته الأصيلة بحيث تضيع معالمها الأساسية وتميع ملامحها الحضارية، فإن هذا إنذار بضعف المجتمع وانحلال قيمه وتفكك أواصره.. ومن ثم تكون الحاجة ماسّةً إلى علاج عاجل.. كذلك فإن الضحك قد يكون وسيلة من وسائل التنبيه الاجتماعي الطريف، إلى أمراض اجتماعية تقليدية كالبخل



والتطفل وغيرهما مما تعاني منه كل أمة... بل قد يُستخدم النقد الهازل كوسيلة من وسائل العلاج والتطبب الاجتماعي...

وشخصية كاتبنا جحا تُنسب إليه حكايات الأُمة العربية، والفارسية، والتركية، وخصائص الفكاهة في السليقة العربية غيرها في الفارسية أو التركية...

فالسليقة العربية ــ كما يقول العقاد ــ شعرية منطقية، والسليقة الفارسية صوفية دبلوماسية، أما السليقة التركية فعملية واقعية.. وهذا كله نرى آثاره في طبيعة الفكاهة والنوادر التي تُروى في كلٍّ من هذه الأمم..

فجحا غير واحد.. لأن النوادر التي تنسب إليه لا تصدر من شخص واحد، لتناثرها عبر الزمان والمكان، ولاختلاف شخصية حاملها بين المغفل البسيط، والمحتال الذكي...

وقد قيل إنه نصر الدين التركي، وقيل: إنه أبو الغصن العربي الفِزاري، كما قيل: إنه من أصحاب الكرامات المستترين بولايتهم وهم يجهرون بالهذر والبلاهة.. وكثير من نوادر جحا تنسب كذلك إلى المجانين من أمثال هبنقة، وبهلول، أو إلى الأذكياء من أمثال أبي الضياء..

ومنها ما هو قديم منقول عن الحكمة الموضوعة على ألسنة الحيوان، وهي شائعة في الشرق من الصين والهند إلى البلاد العربية على اتساعها وتباعد أقطارها.. وقد انتقلت هذه النوادر بين الأُمم عن طريق الرحلات والقوافل، وانتقالها أسبق بكثير من كل تأليف وطباعة...

* * *

إن جحا الذي صار شخصية عالمية مشهورة بقي وما زال صديق عائلي مقرّب... وكم هي جميلة وممتعة تلك اللحظات التي يقضيها الأصحاب في رواية قصصه أو الاستماع إليها...

كان من عادة جحا إذا صام يوماً في رمضان، أن يلقي بحصاة في جرّة ليعرف العدد.. ورأته ابنته فأرادات أن تساعده فألقت في الجرة ملء كفيها من الحصى وهو لا يدري بذلك.

وسأله أصحابه يوماً: أخبرنا، كم بقي من رمضان؟



فأجاب: بل أخبركم بما مضى من أيامه..

ثم عَدّ الحصى فزاد العدد على مائة وعشرين حصاة.. فقال بينه وبين نفسه:

لو أخبرتهم بهذا العدد لسخروا مني.. ولكني أنزل به إلى أربعين..

ثم خرج لهم يقول: مضى من رمضان أربعون يوماً...

فتضاحكوا منه وتضاحك منهم.. ثم قال وهو يحصبهم بنظرات تفتعل الغضب:

ــ وماذا تصنعون لو أخبرتكم بالعدد الصحيح؟..


رضى الناس غاية لا تدرك
ارتفعت شمسُ الضحى في كبدِ السماءِ، والأشعةُ الذهبيةُ تكادُ تذيبُ رمالَ الصحراءِ...
متى سنصلُ يا أبتاه؟.. لقد صارت رمالُ البيداءِ جمرا!
صبراً يابني صبرا.. مازلنا في أوّلِ الطريق! أتشكو وأنت أقلّنا عمرا
في طريقِهِ إلى المدينةِ... يمرُّ جحا بقرى كثيرة.. لكنّ الحرَّ شديد
والقافلةُ الصغيرةُ
في تعبٍ ونصبٍ..
آه.. القريةُ الفضيةُ!! يالها من جوهرةٍ سنيّة!
حمام السعادة
هذا جحا وابنه!
ياللقساوة! جحا راكبٌ وابنه الصغيرُ يسيرُ.. هل رأيتم أعجبَ من هذا أمرا..
اركبْ يابُني.. ولنا عند الله إن شاءَ أجْرا!
ثمّ تابعت القافلةُ سيرَها مروراً بالقريةِ الثانيةِ..
القريةُ الزهراءُ! قريةُ أكابرِ الشعراءِ!
هذا جحا!


يالقلة الحياء ! أيركبُ الفتى ظهراً والأبُ الكهلُ يجرُّ قدميهِ جرّا... لكنها سوءُ التربية.. إنَّ الذي يزرعُ شوكاً لا يجني تمرا !!
لنركب يا بني سويّة، علّنا ننهي القضيّة !
وهكذا.. عندَ القريةِ الثالثةِ...
هاهي القريةُ الفيحاءُ.. قريةُ المئذنةِ الخضراء !
عَجباً !!! أترون ما أرى ؟ مسكينٌ هذا الحمار !
إنّه من تعبِه يسيرُ شبراً فشبرا !!.. ياللوحشية يركبان لحماً وعظماً ويظنانه حديداً وصخرا !!
فلننزلْ يا بني وأجرنا عند اللهِ ذخرا !
ثُمَّ وصلت القافلةُ إلى القريةِ الرابعةِ..
آه... إنها قرية القِباب الثلاث التي أشبعتْ أهلها فخراً وكِبرا !
هذا جحا الذي كلمتك عنه.. لقد ملأ العالمَ ذِكرا !



صَديقُكَ جُحا وابنه لِلْحَماقةِ أسرىٰ ... أيَسيرانِ والحِمارُ يلهو تيهاً وفخرا!؟ ألا يَهْدِرُ هذا المالَ هَدْرا؟
فَلنَحْمِل يا بُني! لَعلَّ اللهَ يبني لَنا مِنْ صَبْرِنا في الفِرْدَوْسِ قَصرا!
انظر!! ماذا يفعلان بصديقنا حكيم الحمير!؟
لئن أساء جحا إليه، لأقلبنّ الدنيا عليه!
وأخيراً وصل الموكبُ إلى المدينةِ...
آه.. ألا إنّ بعدَ كل عسرٍ يُسرا!
أيَحْمِلُ الحِمارَ أم يَحْمِلُ الحِمارُ... لقد جاء جحا شيئاً نكرا!


الهديةُ جاهزة! لقد حشوتُها باللحم واللوزِ وطهوتُها بالسمنِ الطازج!
سيفرحُ الأميرُ كثيراً! إنه يحب الإوزَ كما تطهوه نساءُ هذه البلدة!
آه... ما أشهى هذه الرائحة!
إني لا أحسدُ الأميرَ على مُلكِه بقدرِ ما أحسدُه على هذه الإوزة!
إيه... اللهمّ احشرني مع الصابرين والشهداء
هممم.....آه لو أستطيعُ أن أذوق فخذاً واحدة!
فخذٌ واحدةٌ؟!؟
وبعد صراعٍ مرّ المذاق..
كروتش كروتش
أرجو أن لا يكتشفَ الأميرُ آثار الجريمة!
ثمّ...
جئتُ الأميرَ بهديةٍ ساخنة!


أرجو لك شهية طيبة يا سيدي الأمير!
أشكرك يا جحا.. إنني مُعجبٌ بالطريقة التي تحضرون بها الإوز عندكم... ولكن!!
حتى الأعمى يُلاحظ أنّ هذه الإوزّة ينقصها فخذٌ كاملة... أليسَ هذا مُدهِشاً؟!
يا سيدي الأمير.. إن الإوز عندنا برجلٍ واحدة!. انظر بنفسك يا سيدي!
أتظنُّ ذلك يا جحا؟!
أيها السيّافَ!
......
وبعد قليل
وال وال
وال
كيف تكذب علي؟ أما ترى أن للإوز رجلين؟!
ولكنك يا مولاي نسيتَ أن الرعبَ يأتي بالعجائب، ولو أصابك أنتَ من الرعب ما أصابَ الوزّات المسكينات لقمتَ تجري على أربع!


باتتالام.بوم.باتتالام.بوم
بوم.بوم.بوم.طاخ
!?
?!
لقد سَمِعنا ضجةً هائلة.. هل سقطَ السقفُ عِندكم ؟!!..
... السقفَ!! لماذا السقف ؟... لا ... لم يسقط الـ.. السقف ؟!.
إنها جُبّتي.. لقد دَفعتها زوجتي كحتونة مِن أعلى الدرجِ !!
وهل تُحْدِثُ الجبة كلَّ هذهِ الضجةِ ؟
آآآ... نعم.. خصوصاً وأنني كنتُ بِداخِلها !


هذا البستانُ عامرٌ بأشهى الفواكهِ والخضار !
جزاكَ اللهُ خيراً على ما تبذلهُ من جُهدٍ وتعبٍ.. هل تحتاجُ إلى مساعدةٍ ؟!..
.. لقد.. لقد هَبّت عاصفة قويةٌ .. يا سيدي الكريم.. ورَفَتْ بي من فوقِ جدارِ بُستانك !
هممم... ومن الذي قطف هذه الفواكه والخضار؟
إنّها الرياحُ.. لقد كانت تدفعني يمنة ويُسْرة فلا أجدُ ما أتمسكُ به إلا الخضار والفواكه فتقطف!
هذه فعلاً قصة عجيبة، وإني لأحمدُ اللهَ على سلامتك... ولكن أيةَ مُعجزة أدخلت الفواكهَ في الكيس ؟
في.... في الحقيقة يا سيدي الكريم إنني مازلتُ أبحثُ عن حلٍّ لهذا اللغزِ العجيبِ !!

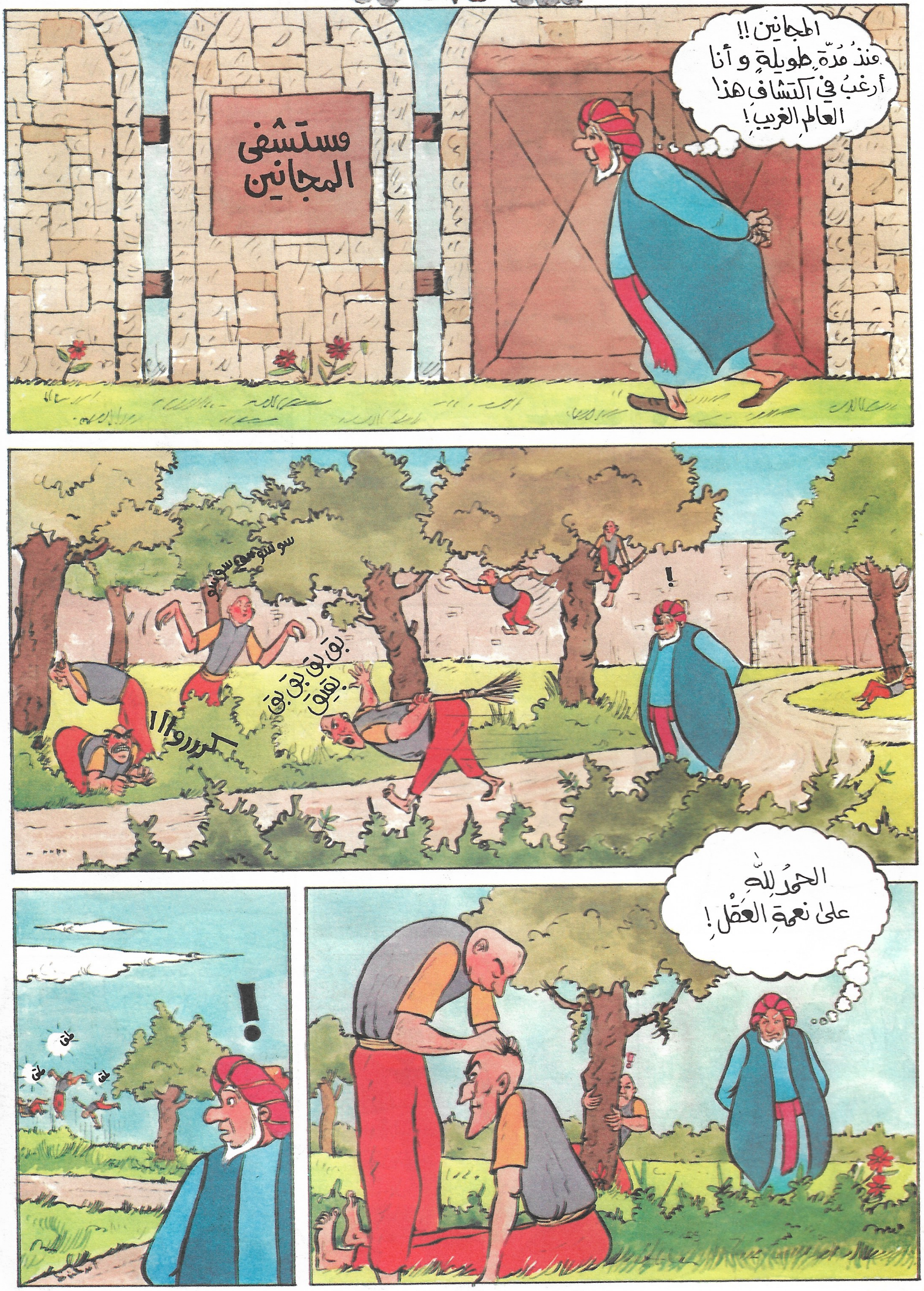
القدر النحاسية





بعد أسبوع
يا جارنا عندنا ضيف، فهل من آنية ؟!!
سـ... سأعطيك واحدة، وإن لم تكن تترك بيتي ثانية!
أرجعها في الضحى مجلوة كالغانية
إنك أمين حافظ وسترعاها بكف حانية
في اليوم التالي
لله درك يا جار أعرتني وعاء حاملاً.. هذه بنت هذه كانت في بطنها.. الأم ملك لك.. والبنت بنفس السخية..
عجب!
أنت رب الأصل والفرع معاً.. أنت ربيت ونعم التربية
شكراً
شكراً
شكراً
بعد أسبوع
جاءنا ضيف كثير عظيم الحاشية.. يا حبذا قدراً كبيرة نحاسية صافية ؟
القدر النحاسية !! سأسأل زوجي عن الإمكانية !
جحا جاء لعارية.. يطلب قدرنا النحاسية الغالية !
أعطيه الذي يبغي.. أنا آمنته في الماضية، فوفى بالوعد وما جرة الشيطان نحو الهاوية.
وقع والله الصيد.. بلع أخونا الطعم.. يالها من حيلة راقية !
أمسيتما في عافية
في اليوم التالي
مضى نصف النهار وما جاءت القدر ولا بان جحا.. لعله دهى في الأمر داهية ؟!
والله ما ذاقت النوم عيناي ثانية، ولا أقل من ثانية.. قلبي يحدثني أننا وقعنا في الهاوية
جحا يا جار الرضى لم تأتنا أنت والقدر فهل من خافية ؟!!؟
فرضت قدركم عندي فجأة.. فرضت الغالية.. أخذ روحها أبو يحيى عزرائيل وكانت القاضية..
من تال ذا.. أتموت القدر ؟! لا.. لا النافية وألف ألف نافية
بل ماتت يا شيخ البلهوطي. ماتت.. وما كذبتني حينما جئتك بطفل الآنية. بل أخذتها.. بل خطفتها بل بلعتها.. أما تدري يا شيخ أن من يلد يموت، تلك بسنة الله الماضية

في عالم المجانين !




طق!
طق!
طق!
طق!
قُلْ لِي بِرَبِّكَ.. ماذا يفعلُ هؤلاء؟
مَجانِين! إنّهم يَحْسَبُونَ أنفُسَهم ذُرَةً مَشْوِيّة!
غريب!
وَلكنّكَ ترتدي مِثلَ ثيابِهم... فلِماذا لاتفعلُ مِثلَهم؟
وكيف أفعلُ مِثلَهُم وأنا لاصِقٌ بِقَعْرِ المِقْلاةِ!؟

لا شيءَ !


طلع الصباحُ - مثل كلِّ يومٍ - على القريةِ الهادئةِ.. القاضي في مكة - مثل كلِّ عامٍ - يؤدي للمرّةِ الثالثةِ والعشرين شعائرَ الحجِ المبارك ، ومثل كل مرّة يقومُ جحا مقامَ القاضي ريثما يعود ... ومثل كل صباحٍ يفتتحُ شحيحُ البلهموطي وزوجته كحتونه يومَهما بالحديثِ عن جحا والكيدِ له ... هذا الصباح « بزغتْ » في أعماقِ رأسِ شحيح مكيدةٌ جديدة ...
ما الذي يدعونا لحفرِ هذهِ الحفرةِ يا أبي الحنون ؟
إنّ أباكَ يريدُ أن يبحثَ عن كنزِ عائلتهِ المدفون
يا جارتنا قمرَ المصون ، ما لنا إن قدّمنا لك شيئاً من العونِ ؟
لا شيءَ !!
اتفقنا !
!
!
وهكذا ...
ومضتْ ساعتانِ من العملِ المشحون ...
أظنّ أنّ هذا يكفينا لهذا اليوم ... شكراً لك يا شحيح .. شكراً لك يا كحتون


حسناً.. أعطينا لا شيئنا الذي نحن بِهِ مَوْعُودُون!
ماذا؟!
أَتجحدين؟! قلنا لك مالنا إن كنا لك مُعينين فقلتِ: لاشيءَ... فهاتِه إننا مُنتَظِرون!!!
لافائدة من الصراخ المَشين.. لِنحتكم إلى جحا، إني لأثِقُ بِهِ وإن كانَ لكَ من الأقربين!.
وكيف تريدونني أن أفعل كي أُعطيكم لاشيئكم؟! بالله عليكم كيف تريدون؟
!!
عند القاضي
...ولقد كُنّا لها خيرَ مُعين، فأنكرتْ حقّنا وَطردتنا طردَ المهين، فلا نرضى لها ولابنها بغيرِ أعماقِ السجون
كُلُّ الكتبِ الفقهيةِ والقانونيةِ فشلتْ في حلِّ مشكلةِ هذا «الزبون»!
آه
قُل لي يا جارنا الرصين.. ماذا ترى، هناكَ... في الزاويةِ اليمين؟
!
لا.. لاشيءَ!!
أحسنتَ يا جار.. إنه اللاشيءُ الذي أنا لكَ بِهِ مَديون.. خذه.. خذه وانصرِفْ وكن واثقاً بأني لكما على مساعدتكما جِدُّ ممنون!

فِكرة كحتونيّة



قصّة الدنانير !





أشكركَ يارب !
الدنانيرُ ناقصة ديناراً.. لكنني سآخذها بكل امتنان.. وأرجو أن تحتفظ لي بالدينار الباقي !
أسرعي !
أسرع !
أسرعي !
أسرع !
أسرعي !
أهلاً أهلاً أهلاً
جحا يا جار الرضى.. لا.. لا تؤاخذنا.. لقد أردنا أن نمزح معك، فرمينا لكَ بالدنانير، وكنا نظن أنك لن تأخذها كما وعدت... و..
ونرجو أن تردّها إلينا مشكوراً..
ماذا ؟
ماهذا الذي تقولان ؟ لقد دعوتُ ربي فأعطاني ماطلبتَ !!
إذا أردت برهاناً أعطيناك، مارأيك بأن نصف لك العيوب الموجودة في الدنانير.. إننا نعرفها واحداً واحداً ؟
ليسَ في نيتي أن.. أن أضيع وقتي معكما.. الدنانير دنانيري ولا فائدة من الإصرارِ والإلحاح
لافائدة !
بل هي دنانيري وإني أطلب منك أن تعيدها إليّ فوراً !
إلى اللقـ..
فلْنحتكمَ إلى القاضي !؟
همم.. حسناً سنذهبُ إليه غداً صباحاً...
في اليوم التالي...
جئتُ لنذهبَ إلى القاضي !
كيفَ ؟! هكذا !!!
تريدنا أن نقابلَ القاضي وأنت ترتدي هذه الجبّة الفاخرة... وعندكَ هذا الحصان العربي الأصيل ؟!!
وأنا مسكينٌ فقيرٌ لا أملك إلا هذه الجبةِ القديمةِ ولا حصان لي
أتريدُ التأثيرَ على القاضي.. لا.. لن أذهب معك !



ولكن !؟
ليسَ هناك مَن لكن ! إنّ أناقتك ستؤثر على عدالة القاضي وحكمه في القضية..
حسناً.. حسناً.. سأعيرك جُبة فخمة مثلَ جبتي !
وفرساً؟
وفرساً !
وهكذا..
حاذر على الثياب.. لقد كلفتني أ..
نعم نعم.. هذه هي المرة العاشرة التي تذكرني بها !!
عندَ القاضي، شرح شحيح قصته الغريبة بالتفصيل
...وكان قد وعد بأن لا يقبل الدنانير إن كانت أقل من مائة !
المبدأ بسيط.. "البينة على من ادعى" هل عندك دليل على ما تقول؟
دليل !! أي دليل؟ إني لا أملكُ أي دليل ؟!!
ثم إني لأقسمُ أن لا أعود لمثل هذا المزاح السخيف.. ولكن أعيدوا إلي مالي.. أعيدوا إلي مالي !!
وأنت يا جحا.. ماذا تقول؟
يا سيدي القاضي.. إنّ جاري هذا حريصٌ على المال بشكلٍ لم يسبق له مثيل، إنه لا يستطيع أن يرى مالأدون أن يسعى لاستلابه
بل إنه لو استطاعَ لادعى أن هذه الجبة الفاخرة جبته، وأنّ هذه العمامة عمامته، وأن الحصانَ العربيّ الأصيلَ الذي ينتظرني أمام الباب هو كذلك حصانه!
ن.. ن.. نعم.. الجبة جُبتي، والعمامةُ عمامتي، والحصانُ حصاني !!
أرأيتَ يا سيدي القاضي ؟! إن شحيح لا يعترف بحق الملكية لأحدٍ غيره...
إن الحرص عيبٌ كبيرٌ يا شحيح. هيا.. اغرب عن وجهي
وامصيبتاه !! ماذا سأقولُ لحنونة ؟!؟
في مساءِ ذلك اليوم، قرعت يدٌ كريمة بابَ شحيح، فلما فتح هذا الباب والدموع مازالت تسيل من عينيه كانت مفاجأته عظيمة عندما رأى أمام الباب
حصانه وجبته وعمامته ودنانيره التسعة والتسعين !
وورقة صغيرة مكتوب عليها:
"حاول أن لا تقف مرة أخرى حجر عثرة بين العطف الإلهي والضعف البشري"

كيفما تُدين تُدان!



أينَ الحِمارُ العاشِرُ؟



الحمار العاق !




وبعد قليل...
م... من أنت !؟!
أنا حمارك يا سيدي !!
حماري ؟! وكيف ؟!!
لقد كنت شاباً أعصي أمي فدعت علي أن يحولني الله حماراً لثلاثة أشهر... فأجاب الله دعاءها فأخذني عمي وباعني في السوق.. واليوم تمضي مدة الثلاثة أشهر، لذلك أعود إلى حالتي الأولى.
آه.. إن معصية الأم جريمة كبرى.. ولا يدهشني أن يحولك دعاء أمك إلى حمار... ولكن الذنب ذنبك.. ولابد لك من طاعة أمك
يجب أن تستفيد من هذا الدرس القاسي ولا تعود لمثلها أبداً !.
ماذا أنت فاعل بي ياسيدي؟
سأطلق سراحك طبعاً.. ولكن إياك أن تعصي أمك بعد اليوم !
حسناً يا سيدي ! أنت ملاك يا سيدي !
وفي اليوم التالي، بينما كان جحا يبحث عن حمار جديد في السوق...
!
أيها الأحمق... ألم أقل لك أن لا تعود لمعصية أمك.. ها قد صرت حماراً من جديد، تباً للشباب الطائش.. على كل حال، لا تعتمد عليّ في شرائك مرة أخرى وإطلاق سراحك بعد ثلاثة أشهر.. يالك من حمار !
لقد ضحكت عليهما وأخذت الحمار بنصف ثمنه.. يالهما من أحمقين !

عند شيخ الحلاّقين !



عنزة ولو طارت !



الأرنب المصيبة !




وهكذا...
السلام عليك يا جحا.. نحن أصدقاء أصدقاء أصدقاء الرجل الذي أهداك أرنبا !..
وقد جئنا نشرّف أنفسنا بالتعرف على شخصك الكريم
وقد سمعنا كثيراً عن نوادرك وظرفك ودماثة أخلاقك !
!!!
هذا الماءُ الساخنُ سيحلّ لي مشكلتي !
كيف تصنعون هذا الحساء ؟!
هذا الحساءُ الشهيّ مصنوعٌ من مرقِ مرقِ مرقِ الأرنبِ الذي أهدانيه صديقُ أصدقاءِ أصدقائكم

تين ويقطين ورأس جحا المسكين




عَزيزي جحا... لقد كنت أفكر بكَ... ما الذي جاء بكَ يا ترى؟
سيدي الأمير.. لقد جئتك بهدية تفرح قلبك..
لنر ما عندك... ماذا ما هذا؟
التينُ الفاخر! لقد أتيتكَ بأحسن ما...
تين؟ أمس شحيح وأنت اليوم! حتى الشمسُ والقمر يعلمان أنني لا أحبّ التين
أنا لا أحبّ التين!
سيدي... اعذرني.. لم... لم أكن أعلم!
بل أنتما تهزآنِ بي... حرس.. اقذفوا رأسَ هذا المنافق بهديته!
ماذا تنتظرون؟
الحمدُ لله!
أي! الحمدُ لله!
آ.. الحمدُ لله!
الحمدُ والشكر لله!
هاها ها... الفضل لله!
توقّفوا!!
ما الذي يضحكك؟ ما الذي يسلّيك؟
اعذرني يا سيدي الأمير.. هذا أقوى مني.. لقد.. لقد كنتُ أريدُ أن أهديك يقطيناً بدلَ التين... تصوّر.. لو كانت سلّتي مليئة باليقطين.. ثم أمرتَ حراسكَ بأن يقذفوا رأسي باليقطين.. ماذا كان يحدث لجمجمتي المسكينة؟!


القفزُ على ظهرِ الحصانِ وهو يجري.. هذا حلمٌ قديمٌ من أحلامي !
ما ... ماهذا.. إنه أسرعُ من الريحِ..!
آه على أيامِ الصِبا ... لقد وَلّتْ أيامُ الشبابِ !
أمّا في الحقيقةِ، فلم أكنْ في أيامِ الصِبا أفضلَ مِمّا أنا الآن ! ... !

كرمٌ في محلّه !


الشّمسُ مُشرِقَةٌ ، وأزهارُ الرّبيعِ الفاتِنَةُ تَملأُ بعطرِها الشّذيّ خياشيمَ الأنوفِ...
لابُدَّ أنْ أضعَ حدّاً لِهذهِ المُصيبَةِ !
هذا جُحا.. أظُنّهُ يُريدُ أنْ يَقولَ شيئاً
يَبْدو عليهِ الغَضَبُ
أيُّها النّاسُ... لَقد بلغَ السَّيْلُ الزُبَى.. إنَّ دَوابَّ الأميرِ تَرْتَعُ في أراضينا بلا حِسابٍ
إنّها تُدَمِّرُ المَحاصيلَ.. وَتدوسُ الأزْهارَ وَتَلتَقِمُ الخُضارَ.. يَجِبُ أَنْ نضعَ حَدّاً لِهذا الاسْتِهْتارِ
جُحا يَقولُ الحَقَّ
صَدقَ جُحا.. يَجِبُ أَنْ نَفعلَ شَيئاً
صَدقَ جُحا !



ثلاثةُ أشهُرٍ وأنا أسقي وردَاتي وردةً وردةً.. لقد أكلتْهُم بقرةُ الأميرِ في ثلاثِ دقائق!.
ليلةَ أمسِ هجمَ أحدُ ثيرانِه على بقرتي وبقرَ لها بطنَها بقرنِه فقتلها!..
وَما العملُ بمعزهِ وخرافهِ.. إنّها لا تُحبُّ إلّا الخُضارَ التي أسقيها بعرقِ جبيني!.
ولكنْ ماذا نفعلُ؟ تلكَ إرادةُ الأميرِ أنْ يُطلقَ أنعامَهُ في مَحاصيلنا يومَينِ منْ كُلِّ أسبوع..
فلنُكلّمْهُ!
نُكلّمُ الأميرَ؟!؟
نعمْ.. لنذهبْ إليهِ جميعاً.. ونطلبْ مُقابلتَهُ ونشرحَ لهُ أمرَنا..
ولكنْ.. إذا بَطشَ بنا!؟
وكَيفَ يَبطُشُ بنا ونحنُ عُصبةٌ؟ لا.. لا أظُنُّهُ يَفعلُ..
جُحا يَقولُ الحقَّ.. هيّا بنا إليهِ..
وَهكذا خرجَتْ جموعُ أهلِ البلدةِ باتّجاهِ قصرِ الأميرِ الشامخِ، تتقدّمُهُم بطنُ جحا الكبيرةُ ولحيتُهُ البيضاءُ..
إنّكَ عندَما ترى جموعَ البلدةِ المحتشدةِ خلفَ جحا لا يُمكنُكَ إلّا أنْ تَعجبَ بتضامُنِ أفرادِها.. غيرَ أنّكَ «تحسَبُهُم جميعاً وقلوبُهُم شتّى»
أمرَينِ لا ثالثَ لهما: إمّا أنْ يدفعَ ثمنَ المحاصيلِ أو يمنعَ أنعامَهُ عنْ أراضينا..
لا أرضى منَ الأميرِ بغيرِ رأسِ الثورِ الذي قتلَ بقرتي..
الأميرُ رجلٌ لا يُحبُّ الإعتراضَ
قلبي يحدّثني بأنّنا مُقبلونَ على مُصيبةٍ عظمى
سمعْتُ أنّ حرسَ الأميرِ الخاصَ لا يَعرفُ الرحمةَ..
عندي فكرةٌ.. نتباطأُ في السيرِ حتى نصبحَ في آخرِ المجموعةِ.. ثمّ.. ثمّ ننسحبُ بهدوءٍ..
فكرةٌ حسنةٌ.. فإذا رضيَ الأميرُ كانَ بها، وإلّا فقدْ نجَونا منَ العقابِ.
هلْ رأيتَ؟! لقدِ انسحبَ أبو علي الخبازُ وجارُهُ.. تعالَ نتبعْهُما..
ثمّ..
إنّهم ينسحبونَ الواحدُ بعدَ الآخرِ!!
ماذا؟
ع!!!


وهكذا وصل جحا إلى قصر الأمير .. وحده
جئنا نتكلم مع الأمير!
تتكلم عن نفسك بصيغة الجمع يا جحا..
أم أن الذين معك يلبسون طاقية الإخفاء هاهاها..
وكان لابد من المثول أمام الأمير
خواجا جحا... هذه مدة لم نتنعم بالحديث معك.. تفضل
مولاي
ما الذي جاء بك يا عزيزي
مولاي أ..أ..أتيت..
سيرون جزاء فعلتهم
مولاي الأمير... إن أرزاق الناس وافرة.. وأنعامهم كثيرة لا تحصى، وهي ترعى يومين فقط من كل أسبوع في أراضيهم... والناس قلقون على صحة حيواناتكم الكريمة.. لذلك فقد بعثوني يعرضون عليكم إطلاقها كل أيام الأسبوع.
وقع اقتراح جحا من نفس الأمير موقعاً حسناً .. فأصدر أمره فوراً إلى رجاله بتنفيذه دون أن ينسى شكر الناس على عظيم إخلاصهم وتفانيهم في خدمته...
ولا تسأل عن فرحة الناس !!!

الحسنة بعشر أمثالها!




وما كادت تمر لحظات حتى ...
أينَ المال؟ أين الدنانيرُ ؟!
مالي !
أين مالي ؟!
الدنانير؟ أين الدنانير ؟
كان المشهدُ مؤسفاً جداً ، غير أنّ جحا و شحيح لم يكونا المتفرجَين الوحيدين !
أأنتَ هُوَ الوحشُ الذّي سرقَ دنانيرَ إخوتي ؟
تفضّل ياسيدي
هذه أوّل مرة تلمسُ فيها يدي كل هذه الدنانير.. لم أر في حياتي إنساناً بهذا الكرم !
عندنا من المال مايكفي لطعامنا سنةً كاملة !
أقترح أن نعيد المشاجرة من وقت لآخر !
لقد تسلّينا كثيراً !

إن شاء الله!



وعليكم السلام! أأنتَ ذاهبٌ إلى السوق؟!
نعم.. لقد مات حماري وأريد أن أشتري حماراً بدلاً عنه!
ياعزيزي شحيح.. هلّا قلتَ: أريد أن اشتري حماراً إن شاء الله!
ولماذا أقولُ إن شاء الله؟.. المالُ معي موجود...
والسوقُ مليءٌ بالحمير... دعنا من هذا الكلام..
إنّ عمليةَ الشراء ياعزيزي العاطل لا تتطلب عنك أكثر من العثور على الحمار المناسب... ثم تسأل عن الثمن وتسعى لإقناع صاحب الحمار بأن حماره لا يساوي ثلث الثمن المطلوب... وتقسم له بأن زوجتك مريضة بفقر الدم... وحتى إذا اقتنع الرجل تدفع له المال وتعود بالحمار فما عمل إن شاء الله في هذا كله؟
نحن في عالم الله... ولا بدّ من الأدبِ مع الله!
لا أدبَ ولا من يحزنون.. بالمال أشتري لك ما تريد!
وهكذا... وصل شحيح الى السوق..
....وهذا الحمار من سلالة حمار الملك.. في نظرته حلم الملوك وله جيد يضاهي أجياد الغزلان.. شديد العضل، كثير الابتسام.. وانظروا إلى هذه الغرة التي تفتن القلوب وتسحر الألباب...وإلى هذا الخصر النحيل المياس... وهو بعد هذا زاهدٌ في الحياة، يأكل قليلاً ويعمل كثيراً..
أما ذَنَبُهُ المعطّر فلا يقدر بثمن!
أنا لَهُ.. أنا أشتريه!
ثم...
لقد... لقد سُرِقت!!؟
والحمار!!؟
لقد ذهبت إن شاء الله إلى السوق إن شاء الله ورأيت حماراً عجيباً إن شاء الله.. في نظرته حلم الملوك إن شاء الله.. وذنبه لا يقدر بثمن إن شاء الله.. ولما أردت أن اشتريه إن شاء الله لم أجد النقود إن شاء الله، لذلك سأقول دائماً إن شاء الله.. إن شاء الله!

جحا يشتري سروالاً !




دُعي جحا يوماً لمشاركة الأمير في رحلة صيدٍ.. كان الطقس جميلاً...
لقد قطعنا مسافةً طويلةً، هذا المكانُ صالحٌ للصيد
هذا يذكّرني بأيامٍ مضت من الصِبا والفتوةِ !
وهل كان شيخي جحا من ممارسيّ الصيدِ والرمايةِ؟
وكيف !!؟..
رحِمَ اللهُ أياماً كنت فيها أرمي رميةً واحدةً فلا يرمي أحدٌ بعدها !
أكادُ لا أُصدّق !!
يا سيدي الأمير، نحن قومٌ يتعلمون الرمي وركوب الخيل منذ الرضاعة، ولولا أن ولّى الصبا والشباب لرأيت مني العجب العجاب!
ولكنّ الرمي فنٌ لا يُنسى... وإني لأتحدّاك.. فإن أصبتَ فإنّ لك هذا الحصان وإلا عدتَ إلى القصر ماشياً !
هيا.. لابد لك من الرمي.. انصبوا الأهداف لشيخي جحا !
و... ولكن.. لقد ضَعُفَ بصري.. و.. وترتجفُ يداي !.


وهكذا..
ستمتلئ بطن الأمير شحماً ولحماً سخريةً مني!
كانَ أحدنا لا يقبل بالرمي على هذه المسافةِ القليلة!
تشاك
هاهاها
هكذا ترمي نساؤنا! ...
وهل يكبُّ الناسَ على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم» صدق رسول الله!
تشاك
اهاهااها
وَهكذا يرمي أطفالنا! ...
لعنَ اللّهُ الفخرَ والتفاخر، لقد أوقعتُ نفسي بنفسي!
واحزناه على رجلي المسكينتين، هذا إذا عرفت الطريق!
ثم.. بعد عدّةِ محاولاتٍ
تشوك
وهكذا يرمي شيخكَ جحا!..
لم أمتلك في حياتي حصاناً عربياً بهذا النبل.. لن أتركَ الرميَ بعد اليوم..



الفخ !
لقد أصبحتَ شيخاً كبيراً.. هل تريدُ أنْ أحملَ عنك؟
أأ.....
لا.. لابد أن أحمِلَ عنك!
لقد جئنا نباركُ لكم بالمولودِ الجديد.. ونرجو أن تقبلوا منّا هذه الهدية المتواضعة!
هذا لطفٌ بالغ منك يا صديقي شحيح!
هذه ليست أول مرّة يعمل معي هذه الحيلة.. إنّه ينتظر حتى نصل إلى الدار المقام فيها الفرح فيأخذ مني الهدية بحيلة مساعدتي ويقدّمها باسمنا معاً!
ولكن لماذا لا تذهب وحْدك؟
وكيفَ وهو يَعلمُ بكل الحفلات، والمناسبات، فلا أكاد أخرج من الدار حتى يلحق بي ويرافقني عنوة..
لا.. لا بد من تلقينه درساً!
إلى أين تذهبَ هذا الصباح بهذا الصندوقِ الفاخر؟
إلى عندِ الأمير أقدّمَ له هذه الهدية النفيسة!
الأمير؟!
عند مدّةٍ طويلةٍ لم أحظَ بلقائهِ.. سأذهبُ معك إليه....



وهكذا...
..وسأقول له: سيدي الأمير لقد أهداك الناس هدايا كثيرة وهذه هي المرّة الأولى التي تقدم إليك فيها هدية تليق بمقامك!
وماذا اخترت له؟
غزال وليد.. إنه آية في الجمال والأمير يحب الغزلان!
وفجأة
ما.. ماذا.. مابك.. لابدّ أنك تعبت.. هل أحمل عنك؟
آ... آه!
أشكرك يا شحيح.. أنت دائماً تفكر بي... أرجو أن أكافئك يوماً على إخلاصك!
أنا دائماً على استعدادٍ لخدمتك!
إذا كان الأمر كذلك فما رأيك بأن تقدمَ الهديّة بدلاً عني.. إني أشعرُ بمغص شديد، وسأعودُ إلى الدار لأستريح قليلاً!
ولاتنس أن تبلغ سلامي للأمير!
هاهاها..!
شحيح البلهوطي هذه أوّل مرّة تقدم لنا فيها هدية.. أرجو أن تنال هديتك إعجابنا!
هذا ممّا لا شك فيه ياسيدي الأمير... لقد جئتكم بأجمل غزلان المنطقة.. إنه مولود جديد.. وهذه الهدية تليق بمقامكم تماماً.. بل هي أحسن ما أهدي إليكم
ولكن ما أن فتح شحيح الصندوق حتى قفز منه جرو صغير..
غزال؟! أهذا غزال؟!؟ أنت تهزأ بي؟!
وامصيبتاه!
هاو هاو
للمنجنيق فوائد لاتخطر بالبال..
إذا لم أسرع فإنّ شحيح سيصل قبلي إلى الدار!

شحيح يعمل معروفاً!



لغة خاصة !



ها.. هاتِ يدكَ! هاتِ يدكَ!
أسرع يا جحا.. إنه جارك شحيح
يا للمصيبة! لقد هلكَ شحشوحي !!
هاتِ يدك بسرعة!
أسرع... هاتِ يدكَ أعطنا يدكَ!
إنه لا يريدُ أن يمدّ يدهُ!! هل تفهمُ هذا؟
أظن أن تفكيره قد أصيب بشلل.. دعوني أجرّبُ حظّي معه!
ناولني يدكَ يا شحيحْ!
شحيح... خُذ يدي!
ولكن كيف؟!
إنّ لجاري شحيح نفسية خاصة، فهو يكرهُ أشد الكره بعض الأفعال مثل هات وأعطني ولا يستجيب لها، ويفضل عليها أفعالَ الأخذ والامتلاك، وهذا هو خطؤكم!

النصائح العجيبة !




وبعد ساعة من السير المضني..
لقد وصلنا.. أنا أسكن هناك... في قمة الجبل
قمةُ الجبل ؟!
نعم .. وبما أننا أصبحنا في منتصف الطريق ، إليك النصيحة الثانية : إذا جاءك أحد الناس يوماً وقال لك أن السيرَ حافي القدمين خيرٌ لك من لبس الحذاءِ ... فإيّاك أن تصدقه !
لعمري إن هذا الـ... الشيخ يضحك علي .. ما هذه النصائح العجيبة ؟! لكن لعل النصيحة الثالثة تنفعني في شيء..
ولماذا تسكن في قمة الجبل ؟
هروباً من الناس يابني ... لقد سئمتُ معاملتهم وحرصهم على المادة...
وأخيراً...
حسناً... النصيحة الثالثة ؟!
النصيحة الثالثة ! هاهاها... إذا جاءك أحد الناس يوماً وقال لك أنه يوجد على سطح الأرض رجل أغنى منك فلا تصدقه !
!
ما.. ماذا تفعل ؟!
ما.. ماذا فعلت ؟
ياسيدي الكريم .. إليك هذه النصيحة مجاناً ..
إذا جاءك أحد الناس يوماً وقال لك أنه مازال في الخوابي زجاجة عسل واحدة أو زيت لم تتحطم إلى ألف قطعة فلا تصدقه !



هـذا الكِتَابُ

«... قد يكون الضحك وسيلة من وسائل التنبيه الاجتماعي الطريف إلى أمراض اجتماعية تقليدية كالبخل والتطفل وغيرهما مما تعاني منه كل أمة.. بل لقد يستخدم النقد الهازل كوسيلة من وسائل العلاج والتطبب الاجتماعي....».

وهذا الكتاب عن جحا نذر يسير من تراث الأمة الفكه، نقدمه في أسلوب قصصي شائق لنلفت نظر أطفالنا وشبابنا إلى شخصية عريقة اجتازت كل الحدود وصارت علماً من أعلام الدعابة والفكاهة.

